﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾ [الحجرات: 3]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الـتَّرغـيـبُ في الـطّـاعـةِ بعدَ الـنَّـهـيِ عـن المعصيةِ

بعدَ ذكرِ النَّهيِ عن رفعِ الصَّوتِ والجهرِ؛ ذُكِرَ الصِّنفُ المخالفُ لَمن تقدَّمَ ذكرُهُ، وهم المُتأدِّبونَ في خطابِهم للنَّبيِّ ﷺ[1]، وفي ذلكَ ترغيبٌ في الانتهاءِ عمّا نُهوا عنهُ، بعدَ التَّرهيبِ عن الإخلالِ بهِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَغُضُّونَ﴾: أصلُ (غضض) يدلُّ على كفٍّ ونقصٍ[3]، ويكونُ ذلكَ في الطَّرفِ، والصَّوتِ، وما في الإناءِ[4]. ومِن ذلكَ يقالُ: اغضُض مِن صوتِكَ، أي: اخفِض منهُ في لينٍ[5]، والغَضُّ من الصَّوتِ: التَّنقيصُ من رفعه وجهارته، وهو أيضًا: رَدُّ طُموحِ الشَّيءِ، كالصَّوت والنَّظر والزِّمام[6]، والمراد به في الآية: خفض الصَّوت والميل به إلى الإسرار[7].

2) ﴿ٱمۡتَحَنَ﴾: أصلُ (محن) يدلُّ على الاختبارِ[8] والتَّجربةِ، ومنه قولهم: ومَحَنْتُه وامتَحَنْتُه: بِمَنْزِلَةِ خَبَرْتُه واخْتَبَرْتُهُ وبَلَوْتُه وابتَلَيْتُه. وأصل المَحْنِ: الضَّرْبُ بالسَّوْط[9]، وامتحنتُ الذَّهبَ والفضَّةَ؛ إذا أذبْتَهما؛ لتختبرَهما أهما خالصانِ أم لا؟[10] والمِحنةُ:

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 145، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 357.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 117، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 70.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح: (غضض).
(4) الراغب، المفردات: (غضض).
(5) الزمخشري، أساس البلاغة، والزبيدي، تاج العروس: (غضض)، والبقاعي، نظم الدرر: 7/ 224.
(6) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 416.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 223.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (محن).
(9) ابن منظور، لسان العرب: (محن).
(10) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (محن).

واحدةُ المِحَنِ الَّتي يُمتحَنُ بها الإنسانُ مِن بليَّةٍ[1]، والامتحان في الآية معناه: الاختبارُ والتَّجربةُ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الَّذينَ يغضّونَ أصواتَهم محفوفونَ بالكراماتِ

يُخبِرُ اللَّه تعالى عن حالِ المتأدِّبينَ في حضرةِ النَّبيِّ ﷺ بما معناه: إنَّ الَّذينَ يكفّونَ رفْعَ أصواتِهم عندَ رسولِ اللَّه أولئكَ الَّذينَ اختبرَ اللَّه قلوبَهم بامتحانه إيّاها، فاصطفاها، وأخلصَها لاتِّقائه بأداءِ طاعته، واجتنابِ معاصيهِ، فلهُم مِنَ اللَّه عفوٌ عن ذنوبِهم السّالفةِ، وصفحٌ منهُ عنها لهم، وثوابٌ جزيلٌ، وهو الجنَّةُ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ الفصلِ:

بيانُ حالِ المتأدِّبينَ معَ النَّبيِّ ﷺ

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾ عمّا قبله؛ لأنَّهُ استئنافٌ بيانيٌّ؛ لأنَّ التَّحذيرَ الَّذي في قوله تعالى: ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ يثيرُ في النَّفسِ أن يسألَ سائلٌ عن ضدِّ حالِ الَّذي يرفعُ صوتَهُ[4].

غَرَضُ التَّوكيدِ في ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾:

جزاءُ أهلِ الأدبِ معَ النَّبيِّ أن يكونوا محلَّ عنايةٍ واهتمامٍ

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ بـ﴿إِنَّ﴾، واسميَّةِ الجملةِ؛ لتأكيدِ مضمونه مِن الثَّناءِ عليهِم، وجزاءِ عملِهم[5]، وللاهتمامِ بهِ[6]، ولأنَّ في المنافقينَ وغيرِهم مَن يُكذِّبُ بذلكَ، وللتَّنبيه على أنَّهُ لمحبَّةِ اللَّه لهُ ورِضاهُ بهِ أهلٌ لأن يُؤكَّدَ أمرُهُ، ويواظَبَ على فعله[7].

---

(1) الجوهري، الصحاح، والزبيدي، تاج العروس: (محن).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 223.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 281، والمراغي، تفسير المراغي: 26/ 122.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 222.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 508.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 222.
(7) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 357.

دلالةُ التَّعبيرِ بالموصولِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾:

الأدبُ معَ الشّارعِ أصلُ المكارمِ

جيءَ بالاسمِ الموصولِ في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾؛ للإشارةِ بما في حيِّزِ الصِّلةِ - وهو غضُّ أصواتِهم عندَ رسولِ الله - إلى علَّةِ الحُكْمِ الَّذي هو استحقاقُهم للتَّكريمِ مِنَ الله، وفي هذا ترغيبٌ في مضمونِ الصِّلةِ، فهي عنوانُ مَدحِهم والثَّناءِ عليهم.

دلالةُ المضارعةِ في ﴿يَغُضُّونَ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الله ﷻ: ﴿يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾؛ للدَّلالةِ على الاستمرارِ، كأنَّهُ قيلَ: إنَّ الَّذينَ دأبُهم وعادتُهم التَّأدُّبُ في حضرةِ الرِّسالةِ[1].

علَّةُ التَّعبيرِ بالغضِّ:

الأدبُ معَ النَّبيِّ يكونُ بخفضِ الصَّوتِ عندَهُ

في التَّعبيرِ بالغَضِّ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾ استعارةٌ لطيفةٌ؛ وذلكَ أنَّ حقيقةَ الغضِّ خفضُ العينِ، أي: ألّا يحدِّقَ بها إلى الشَّخصِ، وهو هنا مستعارٌ لخفضِ الصَّوتِ والميلِ بهِ إلى الإسرارِ[2]، فهُم يخفضون، ويلينون لِما وقَع عليهم مِن السَّكينة، مِن هيبة حضرته ﷺ[3].

غرضُ الإضافةِ في ﴿أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾:

وجوبُ مراقبةِ كلِّ إنسانٍ نفسَهُ عندَ مخاطبةِ النَّبيِّ

الإضافةُ في قوله تعالى: ﴿أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾ بمعنى اللّامِ، أي: أصواتًا لهم، ففيها ضرْبٌ مِن الإيجاز، وأنَّهُم لا يحتفلون بأصواتهم في مقامِ حضرةِ الرَّسول، وفيها إشارةٌ إلى ضرورةِ مراقبةِ كلٍّ منهُم نفسَهُ عندَ مخاطبةِ النَّبيِّ.

نكتةُ التَّعبيرِ بـ﴿عِندَ﴾:

النَّبيُّ ﷺ محلُّ تأدُّبِ المؤمنينَ

عُبِّرَ بالعنديَّةِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 453.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 222.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 224.

رَسُولِ ٱللَّهِ﴾؛ لتعيينِ موضعِ التَّأدُّبِ، وهو النَّبيُّ ﷺ، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى أنَّهُ لا ينبغي أن يقعَ منهم في حضرته إلّا أكملُ الأدبِ[1].

سرُّ التَّعبيرِ بالرَّسولِ:

مَنْ أرسله الله حقيقٌ بكلِّ إجلال

أوثِرَ الرَّسولُ على النَّبيِّ في قوله جلَّ من قائلٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ - بخلافِ الآيةِ السّابقةِ - للإيذانِ بإفضالِ اللّه في حقِّ أولئكَ الكَمَلةِ، وتأديبه إيّاهم، وأنَّهم إنَّما غضّوا أصواتَهم عندَ رسولِ اللّه الَّذي مِن شأنه أن يعلوَ كلامُهُ على كلِّ كلامٍ؛ لأنَّه مبلِّغٌ عن الملِك الأعظم، ولم يرفعوا بها مثلَ أولئكَ؛ لأنَّ اللّه زيَّنَ باطنَهم باكتساءِ لباسِ التَّقوى، حتَّى سرى إلى ظاهرِهم بالتَّأدُّبِ بينَ يدي المولى، ومَن أرسله إليهم، وأكرمَهم بهِ[2].

دلالةُ الإضافةِ في ﴿رَسُولِ ٱللَّهِ﴾:

رسولُ العظيمِ عظيمٌ

إضافةُ الرَّسولِ إلى اسم الجلالةِ في قوله ﷻ: ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾؛ لتعظيمِ شأنِ الرَّسولِ بأنَّهُ رسولُ ذي العظمةِ والجلالِ، ووقوعُ ذلكَ في حيِّزِ الصِّلة يشيرُ إلى مدحِ المُحدَّثِ عنهم بإدراكهم ذلكَ.

علَّةُ إيثارِ اسم الجلالةِ:

الرَّسولُ محلُّ تجلّي صفاتِ اللّه عليهِ

اختيرَ اسمُ الجلالةِ دونَ غيره في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾؛ لدلالته على صفاتِ العظمةِ والجلالِ، فيكونُ فيهِ زيادةُ تعظيمٍ لرسولِ اللّه ﷺ بما يلائمُ مقامَ الحثِّ على التَّأدُّبِ في حضرته.

بلاغةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ للبعيدِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

علوُّ شأنِ الَّذينَ يغضّونَ أصواتَهم

عُبِّرَ باسم الإشارةِ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾؛ للإيذانِ بأنَّ مَن سبقَ ذكرُهُ إنَّما امتحنَ اللّه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 358.

(2) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 453، والشربيني، السراج المنير: 4/ 61.

قلوبَهم؛ لأنَّهم اكتسبوا تلكَ الفضيلةَ[1]، وما فيهِ مِن معنى البُعدِ معَ قُربِ العهدِ بالمشارِ إليهِ تفخيمٌ لشأنه[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

غـضُّ الـصَّـوتِ عـنـدَ الـرَّسـولِ مرضيٌّ

عُبِّرَ بالموصولِ في قوله تعالى شأنُهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾؛ للتَّوصُّلِ بما في حيِّزِ الصِّلةِ إلى الدَّلالةِ على بلوغِهم أقصى الكمالِ؛ مبالغةً في الاعتدادِ بغضِّهم، والارتضاءِ لهُ، وتعريضًا بشناعةِ الرَّفعِ والجهرِ، وأنَّ حالَ المرتكبِ لهما على خلافِ ذلكَ[3].

دلالةُ تعريفِ الطَّرَفيْنِ:

إخلاصُ القلوبِ خـــاصٌّ بـأهـلِ الأدبِ مـــعَ الرَّسولِ

تعريفُ طَرَفَيِ الجملةِ (الإشارة والموصول) في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾؛ لإفادةِ الحصرِ، أي: هم الَّذينَ شرَّفَهم اللهُ تعالى بإخلاصِ القلوبِ دونَ غيرِهم؛ تعريضًا بأولئكَ الَّذينَ لم يغضّوا أصواتَهم[4]، وهذا قصرُ موصوفٍ على صفةٍ قصرًا إضافيًّا، فيه مِن عظيمِ التَّرهيبِ ما ترى.

دلالةُ المُضيِّ في ﴿ٱمۡتَحَنَ﴾:

جيءَ بصيغةِ الماضي في قوله ﷻ: ﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾؛ للتَّنبيهِ على تحقُّقِ الامتحانِ ووقوعه[5]، وهذا إبلاغٌ في مدحهم، والثَّناءِ على جليلِ أدبِهم، وكمالِ خِلالهم.

دلالة ﴿ٱمۡتَحَنَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

اختبر الله تعالى عباده ليرفَعهم

الامتحانُ في قوله جلَّ مِن قائلٍ: ﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ (افتعالٌ) مِن: مَحَنَهُ؛ إذا اختبرَهُ[6]، وصيغةُ الافتعالِ فيهِ للمبالغةِ،

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 453، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 222.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 117.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 133.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 453.
(5) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 453.
(6) الزمخشري، الكشاف: 4/ 356.

كقولِهم: اضطرَّهُ إلى كذا[1]، وهذه المادَّةُ هي الألصقُ بحال المُحدَّثِ عنهم حالًا ومآلًا، والمعنى: أنَّ الله فعَل فيهم فِعْلَ المُختبِرِ بالمُخالَطةِ البليغةِ بالشَّدائدِ، على وجهٍ يُؤدّي إلى المنحة باللّينِ والخُلوصِ مِن كلِّ درَنٍ، والانشراحِ، والاتِّساعِ[2].

عِلَّةُ التَّعبير باسم الجلالة:

إخلاصُ القلوبِ مَحْضُ فضلٍ مِنَ الله

أُسنِدَ الامتحانُ إلى اسم الجلالةِ في قوله ﷻ: ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾؛ للمبالغةِ في بيانِ علوِّ شأنه، بكونه صادرًا عن ذي العظمةِ والكِبرياءِ والجلالِ[3]، وللتَّنبيهِ على أنَّهُ مَحْضُ فضلٍ مِنَ الله تعالى[4]، وليس ذكرُ اسم الجلالة هنا مِن وضْعِ المُظْهَر موضِعَ المضمَر؛ لأنَّه لم يسبق له ذكرٌ على جهة الفاعليَّة ونحوها، فلو قيل: (أولئك الذين امتحن قلوبهم للتقوى)؛ لتبادر إلى الذِّهن أنَّ الفاعلَ هو: (رسولِ الله).

دلالةُ الإضافة في ﴿قُلُوبَهُمْ﴾:

زيادةُ التَّنصيصِ على خصوصيَّةِ إخلاصِ قلوبِهم

الإضافةُ في قوله جلَّ مِن قائلٍ: ﴿قُلُوبَهُمْ﴾ بمعنى اللّام، أي: قلوبًا لهُم، وفي ذلكَ ما لا يخفَى مِنَ التَّنويهِ بخصوصيَّتِهم، مع الإيجازِ في اللَّفظِ، والإشارةِ إلى كمال انقياد قلوبهم لله، فلم تأبَ على امتحانِه.

معنى اللّامِ، ودلالة التَّعبير بها في ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾:

التَّقوى علَّةُ الامتحانِ

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ لامُ العلَّةِ، والتَّقديرُ: امتحنَ قلوبَهم لأجلِ التَّقوى، أي: لتكونَ فيها التَّقوى، أي: ليكونوا أتقياءَ[5]، ومعنى الاختصاصِ هو الأصلُ في اللّام، فيدلُّ على اختصاصِ امتحانهم بالتَّقوى، وهذا ثناءٌ عليهم، وترغيبٌ في الاقتداء بهم.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 223.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 224.
(3) الشربيني، السراج المنير: 4/ 61.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 453.
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 133، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 223.

التَّقوى خاصَّةٌ بأهلِ الأدبِ

ويجوزُ أن يُجعَلَ ﴿ٱمۡتَحَنَ﴾ بمعنى (علم) مجازًا مرسلًا، أي: علمَ الله أنَّهم متَّقونَ، فتكونُ اللّامُ متعلِّقةً بمحذوفٍ هو حالٌ مِن: ﴿قُلُوبَهُمۡ﴾، أي: كائنةً للتَّقوى، فاللّامُ للاختصاصِ[1].

دلالةُ تعريفِ (التَّقوى):

قلوبُ أهلِ الأدبِ مسكنٌ لجنسِ التَّقوى

تعريفُ التَّقوى في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ للجنسِ، أي: لجنسِ التَّقوى، وهذا العمومُ فيه أنَّ المُحدَّثَ عنهم كاملو التَّقْوى، فهُم أهلٌ لأن يَطْرُقوا كلَّ أبوابها ومجالاتها.

بلاغةُ الكنايةِ في ﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾:

أهلُ الأدبِ معَ النَّبيِّ كاملونَ في التَّقوى

يَحتملُ قولُهُ تعالى: ﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ أنْ يكونَ مِنَ الكنايةِ التَّلويحيَّةِ، عُبِّرَ بهِ عن كونِهم مُغْرِقينَ في التَّقوى، كاملينَ فيها؛ لأنَّ الامتحانَ والتَّجربةَ يوجبُ مزاولةَ الأمرِ ومعالجتَهُ مرَّةً بعدَ أخرى، وذلكَ يوجبُ التَّمرُّنَ فيهِ، والمتمرِّنُ مضطلعٌ فيهِ، ويحتملُ أن يكونَ تمثيلًا؛ شُبِّهَ خلوصُ قلوبِهم عن شوائبِ الكُدوراتِ النَّفسانيَّةِ بعدَ طولِ المجاهداتِ بخلوصِ الذَّهبِ - الَّذي عُرِضَ على النّارِ - مِنَ الخَبَثِ والزَّبَدِ الَّذي يذهبُ جُفاءً[2].

علَّةُ الفَضْلِ في قوله: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾:

بيانُ عاقبةِ أهلِ الأدبِ معَ رسولِ الله ﷺ

يجوزُ أن يكونَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ مبتدأً، و﴿ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ﴾ خبره، والجملةُ خبرُ ﴿إِنَّ﴾، ويكونَ ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ جملة أخرى؛ إمّا مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا، وهو الظّاهرُ، فهي جوابُ سؤالٍ يثيرُه ما قبلها مِن تقريرِ حُسْنِ عملِهم، أي: ما جزاؤُهم؟ وإمّا حاليَّةٌ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ﴾ صفةً لـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، أو بدلًا منهُ، أو بيانًا، و﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾

(1) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 223.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 452، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 290.

جملةٌ خبريَّة[1]، ويَحتملُ أن تكونَ جملةُ ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ خبرَ ﴿إِنَّ﴾، وما بينَهما اعتراضٌ؛ للتَّنويهِ بشأنه[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالجملةِ الاسميَّةِ:

عُبِّرَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ المغفرةَ والأجرَ أمرانِ ثابتانِ لهُم، لا شكَّ في ذلك، وفي هذا كمال اعتناءٍ بهِم، وإحسانٍ إليهِم.

معنى اللّامِ، ودلالة التَّعبير بها:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ للمِلْكِ والاستحقاقِ، فتفيدُ أنَّ الَّذينَ يغضّونَ أصواتَهم يستحقّونَ الأجرَ والثَّوابَ، وهذا اعتدادٌ بعملِهم، وترغيبٌ في الازدياد منه، ومعنى الاختصاصِ أصلٌ فيها لا يُفارقُها، فتكونُ تمهيدًا للقَصْرِ الحاصلِ بتقديم ﴿لَهُم﴾ على ما بعدَه، وبها يقوَى معنى الحصر والقصر.

الَّذينَ يغضّونَ أصواتَهم يستحقّونَ الأجرَ والثَّوابَ

نكتةُ تقديمِ ﴿لَهُم﴾:

قُدِّمَ المسندُ ﴿لَهُم﴾ على المسند إليه ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾، في قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ لإفادةِ اختصاصِ الَّذينَ يغضّونَ أصواتَهم بالمغفرةِ والأجرِ العظيم، فالمُؤَخَّرُ مقصورٌ على المُقدَّم، قصرَ موصوفٍ على صفةٍ، قصرًا حقيقيًّا مجازيًّا (ادِّعائيًّا)؛ إبلاغًا في مدحهم، والتَّرغيب في الاتِّساءِ بحالهم.

المغفرةُ والأجرُ العظيمُ للَّذينَ يغضّونَ أصواتَهم دونَ غيرِهم

نكتةُ تنكيرِ ﴿مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ﴾:

تنكيرُ المتعاطفَيْنِ: ﴿مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ﴾؛ لتفخيمِ شأنِهما، وبيانِ أنَّهما لا يُكتنَهُ كُنْهُهما، ولا يُقادَرُ قَدْرُهما[3]، وفي ذلكَ ما لا يخفى مِنَ التَّرغيبِ في حُسْنِ الأدبِ معَ رسولِ اللّه ﷺ.

(1) السمين الحلبي، الدر المصون: 10/ 6.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 223.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 356، والطيبي، فتوح الغيب: 14/ 452.

نكتةُ تقديمِ المغفرةِ على الأجرِ:

التَّخليةُ مقدَّمةٌ على التَّحليةِ

قُدِّمَتِ المغفرةُ على الأجرِ في قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ لأنَّ التَّخليةَ مُقدَّمةٌ على التَّحليةِ، وللإشارة إلى عظيم الإحسان الإلهيِّ إليهم؛ بأنَّ المغفرةَ لا تُنقِصُهم أجرَهُم الَّذي يستحقّونَه، معَ أنَّه محضُ فَضْلٍ مِن اللهِ العظيم.

بلاغةُ وصفِ الأجرِ بالعظمةِ:

الجنَّةُ عظيمةُ الشَّأنِ

وُصِفَ الأجرُ بالعظمةِ في قوله تعالى: ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ لبيانِ فخامته الوصفيَّةِ بعدَ بيانِ فخامته المستفادةِ مِنَ التَّنكيرِ، كيفَ لا ولا أجرَ أعظمُ مِنَ الجنَّةِ؟ وفيه أيضًا إبلاغٌ في الاحتراسِ مِن توهُّم ضعفِ الأجر ونقصانِه؛ بسببِ ما استدعَى المغفرةَ مِن الذُّنوب والآثامِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأجرُ والجزاءُ والثَّوابُ:

الَّذينَ يغضّونَ أصواتَهم مُستحِقّونَ للأجرِ تفضُّلًا مِنَ اللهِ

الأجرُ لا يكونُ إلّا في الخيرِ، والجزاءُ يكونُ في الخيرِ والشَّرِّ، والثَّوابُ وإن كانَ الغالبُ فيهِ أن يكونَ في الخيرِ، فإنَّه قد يأتي في الشَّرِّ أيضًا[1]، والفرقُ بينَه وبينَ الأجرِ أنَّ الأجرَ فيه معنى التَّكافؤ والتَّقابُل، ففيه اعتدادٌ بالعمل، وأمّا الثَّوابُ؛ فليس كذلكَ، بل يكونُ فيه معنى الفَضْلِ.

وقد عُبِّرَ بالأجرِ هنا؛ لكونه مناسبًا لسياقِ التَّكريم؛ لأنَّ فيهِ إشارةً إلى استحقاقِ المؤمنينَ لِما يُعَدُّ لهم، فهو بمنزلةِ الأُجرةِ الَّتي يستحقُّها العاملُ على عمله، وهو استحقاقٌ صوريٌّ، وإلّا فالأجرُ في الحقيقةِ مَحْضُ فضلٍ وتكرُّمٍ منهُ سبحانَهُ.

(1) الراغب، المفردات: (ثوب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"